وسطية مدرسة القيروان

بقلم

أ.د. مصطفى حميداتو — ط/دكتوراه: مصطفى حنانشة

Mostafa60@hotmail.com — abomohamedhanancha@gmail.com

قسم أصول الدين ـ معهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي

ملخص البحث

كان لغربنا الإسلامي حظ وافر من الوسطيّة،فاتّصف علماؤنا وأتباعهم بهذه االصّفة الطّيبة،فكانت صّفة ومِيزة ملازمة لعلماء الأمّة ممّا أعانهم على أداء دورهم الدّعوي، فدخل النّاس في دين الله- تعالى- أفواجاً ودانت لهم البشرية جميعها، وسلمت زمام أمرها للمسلمين، فعاشت تحت راية العدل والخير والفضل والإنصاف، ممّا ساعد المسلمين في فتح أوروبا غربا وإفريقيا جنوبا،و ساعد في استقرار هذه الدّول قرونا من الزّمن، بنسيج اجتماعي كبير، رغم الفتن التي حاولت تفكيك هذه الأمّة،فأردت من خلال هذا البحث أن أسلط الضوء على أعمالهم و مواقفهم و كلامهم الذي يتصف بالوسطيّة في مختلف المجالات فجعلتُ الخطة تحوي مبحثين: المبحث الأول: نبذة عن الوسطية و مدرسة القيروان، و فيه مطلبان : المطلب الأول تعريف الوسطيّة لغة وأصطلاحا ووجدت بين اللغة و الاصطلاح ارتباط كبير،فهي العدل والخيار والفضل و لتوّسط بين الطّرفين .و المطلب الثاني : تحدثت فيه عن القيروان و فتحها و اهميتها و مدرستها العريقة فذكرت مَن أسسها ثم قيمتها عند العلماء، و لأهميتها لمّا أنشأت استقر الإسلام في الغرب وكان قبل ذلك يشهد عدة انتكاسات، فركز المسلمون على القيروان كقاعدة عسكرية و قاعدة دعوية، لذلك أرسل لها عمر بن عبد العزيز العلماء التابعين العشرة لتعليم النّاس ، ثمّ تحولت مدرسة للمذهب المالكي مع وجود مذاهب أخرى فكانت قاعدة لدعوة النّاس.و المبحث الثاني فيه ثلاث مطالب تحدث فيه وسطية مدرسة القيروان فتكلمت في المطلب الأول عن الوسطية في الدعوة و بدأت بكلام لعقبة بن نافع، و ثنّيت ببعض من بعثهم عمر بنعبد العزيز كمعلمين،وثلثت بعلماء القيروان كالإمام سحنون في أقضيته، و كان المطلب الثاني خاصا بالعقيدة فتحدث فيه عن وسطية العقيدة التي كان يلهج بها القرويون فذكرت طرفا مما في كتب الإمام أبن ابي زيد القيرواني الذي يعتبر محطة ملخصة لمن سبقه و قدوة لمن بعده، وكيف سلكوا أسلوب المناظرة مع خصومهمو ثمّ ختمت بالمطلب الثالث تحدث عن وسطية الفقهاء و ذكرت فيه جمهم بين النص و الاستنباط و قبول الآخر و محاورته ووصفه بما هو أهله،و السعي لتحقيق مصلحة عامّة الناس و إحقاق الحقّ،ُ ختمت بخاتمة ذكرت فيها أهم

النتائج وهي أن الوسطيّة تربية من الصّغر، وأنّها كان لها الدور الكبير في دعوة الجديد وتثبيت القديم والتّوصيات و من أهمها تدريب الناشئة ببث روح الوسطية بمواقف تارخية و إباعد كلّ ما يفسد ذلك.

المقدمة:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، و من فيضه تتنزل البركات، له الحمد على ما أعطى ومنع، وله الحمد على التّوفيق و الفتوحات، حمدا يليق بجلاله وكماله ومَنّه و فضله، و الصّلاة والسّلام الأتمّان الأكملان على سيّد المخلوقات، سيّدنا محمّد المبعوث بالرّحمات، و على آله، و أخصّ منهنّ زوجاته الطّاهرات، و صحابته السّادات، و على من اقتفى أثرهم و اهتدى بهديهم و اتّبعهم للممات، أمّا بعد:

فإنّ التزام المسلم بأحكام الإسلام والثّبات على ذلك هو سبيل النّجاة والّسعادة في الدّارين، وصمّام الأمان لتحقيق الأهداف وعدم الانزلاق بالجَور في الأحكام وعدم الإنصاف واتّباع الهوى والوقوع في رذيلة حبّ الذّات والانتصار لها، لذلك أمرنا الله – تعالى- أن نكون أمّة وسطا فقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ البقرة الآية 143، فكانت هذه الصّفة والميزة ملازمة لعلماء الأمّة ممّا أعانهم على أداء دورهم الدّعوي، فدخل النّاس في دين الله- تعالى- أفواجاً ودانت لهم البشرية جميعها، وسلمت زمام أمرها للمسلمين، فعاشت تحت راية العدل والخير والفضل و الإنصاف، وكان لغربنا الإسلامي حظ وافر من ذلك، فقد اتّصف علماؤنا وأتباعهم بهذه الأوصاف الطّيبة، ممّا ساعد المسلمين على فتح أوروبا غربا وإفريقيا جنوبا، و ساعد في استقرار هذه الدّول قرونا من الزمن بنسيج اجتماعي كبير رغم الفتن التي حاولت تفكيك هذه الأمّة، فكانت صفة الوسطيّة مساعدة على الصّمود في وجه كلّ المتغيرات، الّتي حاولت مرات تحويل وجهة الأمّة أو استغلالها في معارك لا فائدة منها، وجاء هذا الملتقى المبارك ليبين وسطية علماء الغرب و أدوارهم الكبيرة في خدمة الأمّة والبشرية جميعا، وقد أعددت هذا البحث خصيصا لهذا الملتقى.

وفي عصرنا الذي كثرت فيه الفتن والاهتزازات على كلّ الأصعدة تزداد حاجة الأمة إلى معرفة معالم الوسطية التي اتبعها السابقون، وجعلوها حجر الزّاوية لتماسك المجتمع، و إبعاد ثقافة التّمزق والانقسام والاختلاف المفضي للعداوة، بسبب الإفراط أو التّفريط، والتّعصب المقيت وعدم العدل والإنصاف وإتباع الرذائل والانزلاق في مستنقع الهوى والحيدة عن الحق، هذه حاجات ملحة لابد أن نجد لها حلولا مواتيّة حتّى نخرج من عنق الزّجاجة، و نحْذر الانزلاق المفضي لذهاب الرّيح، فلقد اشتهر أهل الغرب الإسلامي بالوسطية والاعتدال، ولعلي أخصصّ بحثي هذا للحديث عن مدرسة القيروان، حيث اشتهر أهلها بطلب العلم وتميزوا بخصائص عن المشرق الإسلامي، و أسسوا مدرسة المالكية العريقة فقها، و عقيدة، و سلوكا، ودونوا لها الدوواين، و شاركوا في الحكم و القضاء و الجهاد و الدّعوة، و كان عددهم لا يحصى من كثرتهم عبر العصور وكلّ واحد منهم يُعتبر مدرسة بحاله، والإحاطة بهم جميعا ضرب من الادّعاء الّذي سرعان ما ينكسر على صخرة الوقت والجهد، لذلك سأتناول بعض من مواقفهم و أقوالهم التي تبيّن وسطيتهم الّتي أثمرت في بناء صرح علمي حضاري كبير للغرب الإسلامي، ممّا ساهم في نشر الإسلام ونقل الهداية والنّور. رغم

الفترات الزّمنيّة الشّديدة الّتي مرّت على العلماء، و التي كادت تعصف بالمغرب الإسلامي كلّه من فتن و انشقاقات وولاءات مختلفة، فهم أنموذج للوسطيّة رغم تعدد المذاهب و الفِرق و الصّراعات القاتلة و دائرة رحاها فوق رؤوسهم و أسميت مداخلتي: وسطية مدرسة القيروان.

الإشكالية: النّاظر في تاريخ المغرب الإسلامي على الرّغم من بعده عن مصدر الإسلام، يجده تاريخا مشرقا استطاع أهل بلده على تعدد أعراقهم وثقافاتهم وجغرافيتهم وتاريخهم أن يصنعوا أمّة واحدة، استطاعت إرسال النُّور الّذي تحمله إلى غيرها من الشّعوب المتاخمة لها، و استطاعوا التّوفيق بين مدرستي الأثر والرأي، بين الفقهاء والمتكلمين، بين العقل و النّقل، و استطاعوا أن يحولوا كلماتهم إلى أعمال على الميدان يدعون بها غيرهم من الشّعوب الأخرى للإسلام، تحمل هذه الأعمال العدل والإنصاف والوقوف بين الأطراف بحكم عدلٍ وهي ثمرة الوسطيّة، لأجل ذلك أمسك أهل العلم بناصية الشّعوب وقادوها إلى برِّ الأمان، و هذا الذي نبحث عنه نحن اليوم و نسعى للوصول إليه، وذلك باستخراج لباس الوسطيّة الذي زين كلَّ شيء فكانت الإنسانيّة أسعد المتزينين، ولاستجلاب هذا الوصف الطّيب، نغوص في تاريخ بعض رجالات تلك المراحل، لنقتبس منها أضواء لعلّها تنير دروبنا في هذه الأيام الحالكات، ولأجل ذلك نطرح بعض التّساؤلات، و نبحث عن الإجابة لها، فلعلّها تسدّ هذه الحاجة الملحة والأسئلة التي تُطرح هنا:

- ما مفهوم الوسطيّة ؟
- هل أثمرت الوسطيّة في وَحدة الأمّة؟
- هل ساهمت الوسطيّة في دخول النّاس للإسلام؟
- ما هي الجوانب التّطبيقيّة التي مارسها العلماء؟

وللإجابة عن هذه التّساؤلات أقترح الخطة التالية:

المبحث الأول: نبذة عن الوسطية ومدرسة القيروان.

المطلب الأول: الوسطيّة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: التّعريف بالقيروان و فتحها و أهميتها و مدرستها.

المبحث الثاني: وسطيّة مدرسة القيروان وأثرها على الأقاليم المفتوحة في أفريقيا و أوربا .

المطلب الأول: الوسطيّة في الدّعوة.

المطلب الثّاني: وسطية مدرسة القيروان في العقيدة.

المطلب الثالث: وسطية مدرسة القيروان في الفقه:

الخاتمة: و تحوي أهم النّتائج و التّوصيات.

الدّراسات السّابقة: حسب اطّلاعي وسؤالي لأهل الاختصاص لم أجد دراسة خاصّة بالوسطيّة للمدرسة القيروانيّة، فكلّ الدّراسات كانت حول مدرسة الحديث في القيروان التي تناولت المحدثين من عهد الصّحابة حتى نهاية القرن الخامس الهجري للباحث الحسين بن محمد شواط، أو دراسات عن شخصيات معينة كعقيدة

ابن أبي زيد القيرواني للباحث الحبيب بن طاهر، أمّا بخصوص الوسطيّة فالدّراسات موجهة كالوسطيّة في القرآن الكريم أو وسطية الإسلام و هي عديدة، تلتقي مع دراستي في تعريف الوسطية أو الاستشهاد ببعض الآيات و الأحاديث الخاصّة بالوسطيّة، أمّا بحثي فيُعرّف الوسطيّة كغيره من البحوث، و يزيد عنها أن يبحث في تراث من دخل القيروان من الفاتحين أو الوافدين، أو مَن وُلد فيها بعد ذلك من أهل العلم، فينظر أقوالهم وأفعالهم و مواقفهم و يحلّلها حسب مفهوم الوسطيّة ويستخرج منها المعالم والأضواء و الآثار المترتبة على هذه الأعمال، ويُبيّن دورها في دعوة غير المسلمين و في استقرار و ترابط المجتمعات الإسلاميّة .

المبحث الأول: نبذة عن الوسطيّة ومدرسة القيروان.

قبل الخوض في هذا البحث لابد من التّعريف بالوسطيّة لغة و اصطلاحا حتّى تكون النّتائج بعد ذلك مبنيّة على التّصور الصّحيح لمفهوم الوسطيّة، فالحكم على الشّيء فرع عن تصوره كما يقول المناطقة.

المطلب الأول: الوسطيّة لغة واصطلاحًا.

-1-الوسطيّة لغة :الوسطيّة تدل على جملة معانٍ تتقارب من حيث دلالتها: العدل، والخيار والتّوسط، والفضل، والنّصف بين الطرفين. قال ابن فارس: «الواو والسّين والطّاء بناء صحيح يدل على العدل والنّصف، وأعدل الشّيء: أوسطه ووسطه»[1].

ويقول ابن منظور: «وسط الشّيء وأوسطه: أعدله»[2].قال الراغب: «ماله طرفان متساويا القدر»[3]. قال: «المعتدل من كلّ شيء»[4].

-2-الوسطية اصطلاحًا: لا يخرج الاصطلاح الشرعي عن مقتضى اللغة وقد جاءت كلمة وسط في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾[5]. قال الإمام ابن جرير الطّبري:« وأنا أرى أنّ الوسط في هذا الموضع، هو الوسط الذي بمعنى: الجزءُ الّذي هو بين الطّرفين، مثل وسَط الدار محرَّك الوَسط مثقَّله، غيرَ جائز في سينه التخفيف. وأرى أنّ الله تعالى ذكره إنّما وصفهم بأنّهم وسَط، لتوسطهم في الدّين، فلا هُم أهل غُلوٍّ فيه، غلوَّ النصارى الّذين غلوا بالتّرهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه – ولا هُم أهلُ تقصير فيه، تقصيرَ اليهود الذين بدَّلوا كتابَ الله، وقتلوا أنبياءَهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنّهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبَّ الأمور إلى الله أوْسطُها». ثمّ قال:« أمّا التّأويل، فإنّه جاء بأنّ الوسط العدلُ. وذلك معنى الخيار، لأنّ الخيارَ من النّاس عُدولهم».ثمّ نقل:« قال ابن زيد: "وكذلك جَعلناكم أمةً وسطًا" قال، هم وَسَطٌ بين النبي ﷺ وبين الأمم».[6]

---

[1]- معجم مقاييس اللغة،6/108.

[2]- لسان العرب، 7/430.

[3]- مفردات غريب القرآن، ص 869.

[4]- المعجم الوسيط، ج2، ص 1030.

[5]- البقرة، الآية: 143.

[6]- تفسير الطبري، تحقيق:أحمد محمد شاكر،ج 3/ 142-145.

قال الأستاذ سيّد قطب: « فالأمّة وسطيّة في تصورها واعتقادها بين الرّوح والمادة، وبين الواقعيّة والمثاليّة، والثّوابت والمتغيرات، والفرديّة والجماعيّة، وبين التّرخص والتّشدد، وهي وسط في الزمان، تنهي عهد طفولة البشريّة من قبلها، وتحرس عهد الرّشد العقلي من بعدها»[7].

قال الشّيخ محمّد عبده:« واختار القرآن لفظ الوسط دون الخيريّة، لحكمة وهي التّمهيد للتّعليل الآتي: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ فإنّ الشّاهد لابد أن يكون عارفا بالشيء، ومن كان متوسطا بين شيئين فإنّه يرى أحدهما من جانب وثانيهما من جانب آخر»[8].

وقد أبدع الفخر الرّازي فذكر في تفسيره أربعة أقوال، ودلّل لكل قول منها من الوحيين والشّعر، وهذه الأربعة هي ما اقتضته اللغة وهي كالتالي: العدل – الخيار – الفضل – التّوسط بين الطرفين[9].

ويشهد لبعضه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النّبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ قال: عدلا[10].ومن الشّعر قال زهير:

هم وسط يرضي الأنام بحلمهم إذا نزلت إحدى الليالي بمعظم[11]

فالوسطيّة: سلوك محمود مادي أو معنوي يعصم صاحبه من الانزلاق إلى طرفين متقابلين غالبا أو متفاوتين تتجاذبها رذيلتا الإفراط والتّفريط سواء في ميدان ديني أو دنيوي[12]. وهذا التّعريف فيه اقتصار على جزء من الوسطية كتوسط بين طرفين وقد يلامس العدل.

المطلب الثاني: التّعريف بالقيروان وفتحها وأهميتها ومدرستها.

قال العلامة ابن خلدون (732-808هـ):« للقيروان في مقدمته، وجَعْلها نظيرة قرطبة: "إن القيروان وقرطبة كانتا حاضرتي المغرب والأندلس، واستبحر عمرانهما، وكان فيهما للعلوم والصنائع أسواق نافقة، وبحور زاخرة، ورسخ فيهما التعليم، لامتداد عصورهما، وما كان فيهما من الحضارة»[13]

يُعتبر إنشاء مدينة القيروان من قبل سيدنا عقبة بن نافع رضي الله عنه بعد فتح أفريقيّة بداية تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في المغرب العربي. ويعود تاريخ القيروان إلى عام 50هـ / 670 م، عندما قام بإنشائها عقبة بن نافع. وكان هدفه من هذا البناء أن يستقر بها المسلمون، إذ كان يخشى إن رجع المسلمون عن أهل إفريقية أن يعودوا إلى دينهم. وقد اختير موقعها على أساس حاجات استراتيجية واضحة. فقد ذكر عقبة بن نافع أصحابه

---

[7]- الظلال: 1/131.

[8]- ينظر:تفسير المنار: ج2، ص 4.

[9]- ينظر: تفسير الرازي: ج4، ص88-89 .

[10]-أخرجه البخاري كتاب: الاعتصام بالكتاب و السنة ، باب: ابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: 143] وَمَا أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلُزُومِ الجَمَاعَةِ، وَهُمْ أَهْلُ العِلْمِ ،رقم الحديث: 7349 ،ج 9 ص 107.

[11] -البيان و التّبيّن، للجاحظ،3/153.و الزمخشري في أساس البلاغة،2/333.

[12]- الوسطية مفهوما ودلالة، د. محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة http://www.alukah.net/culture/0/4341/ يوم 2017/9/7.

[13] -تاريخ ابن خلدون:1/544.

بعد الفتوح في المغرب: "إن أهل هذه البلاد قوم لا خلاق لهم إذا عضهم السيف أسلموا، وإذا رجع المسلمون عنهم عادوا إلى عاداتهم ودينهم ولست أرى نزول المسلمين بين أظهرهم رأيا وقد رأيت أن أبني ها هنا مدينة يسكنها المسلمون فاستصوبوا رأيه"14فلقد كانت المدينة تلعب دورين هامين في آن واحد هما الجهاد والدعوة. فبينما كانت الجيوش تخرج منها للغزو والفتح، كان الفقهاء يخرجون منها لينتشروا بين البلاد يعلمون العربية وينشرون الإسلام، بل إن الدور الذي لعبته المدينة في إدخال البربر في الإسلام لا يقل عن الدور الذي لعبه القادة الفاتحون. فلقد دخل البربر الإسلام منذ الفترة الأولى للفتوحات وخاصة عندما رأى البربر عقبة بن نافع وهو ينشئ القيروان بنفسه فتأثروا بشخصيته الدينية وبما كان يظهره من التفاني في سبيل الإسلام فدخلت جماعات كبيرة منهم الإسلام على يديه وانضمت إلى القوات المحاربة وقد كان لهذه المدينة منزلة دينية عظيمة في نفوس المسلمين وكانوا يعتبرونها مدينة مقدسة ولا يدخلها غير المسلمين .

وكانت القيروان صغيرة المساحة عند إنشائها، وقد جعل عقبة بن نافع دار الإمارة في وسطها، وإلى جوارها المسجد الذي حرص على أن يشمل مدرسة لتعليم اللغة والدين. كما عمل عقبة على أن تضم القيروان مناطق تنتمي إلى القبائل العربية والبربرية. فجعل منطقة للقحطانيين، وأخرى لبني ربيعة، وثالثة لبني مضر، ورابعة للبربر [15].

وقد لعبت مدينة القيروان دورا رئيسيا في القرون الإسلامية الأولى، فكانت العاصمة السياسية للمغرب الإسلامي ومركز الثقل فيه منذ ابتداء الفتح إلى آخر دولة الأمويين بدمشق . وعندما تأسست الخلافة العباسية ببغداد رأت فيها عاصمة العباسيين خير مساند لها لما أصبح يهدد الدولة الناشئة من خطر الانقسام والتّفكك. ومع ظهور عدة دول مناوئة للعاصمة العباسية في المغرب الإسلامي دولة الأمويين بالأندلس[16]، الدولة الرستمية في الجزائر[17]، والدولة الإدريسية العلوية في المغرب الأقصى[18] .

وكانت كلّ دولة من تلك الدّول تحمل عداوة لبني العباس خاصّة الدولة الإدريسية التي تعتبرها بغداد أكبر خطر يهددها. لهذا كلّه رأى هارون الرشيد[19] أن يتخذ سدا منيعا يحول دون تسّرب الخطر. ولم ير إلا عاصمة إفريقية قادرة على ذلك، فأعطى لإبراهيم بن الأغلب[20] الاستقلال في النفوذ وتسلسل الإمارة في نسله .

وقامت دولة الأغالبة (184–296هـ / 800 –909م) كوحدة مستقلة ومدافعة عن الخلافة. وقد كانت

---

[14] –معجم البلدان ، للحموي:4/420.

[15] –المدن و الآثار الإسلاميّة أحمد الخالدي:56.https://books.google.dz/books ، يوم 2017/09/06.

[16] – أسّسها عبد الرحمن الداخل(138هـ–424هـ) بالأندلس(أسبانيا و البرتغال)، ينظر: البيان المغرب، لابن عذارى:2/39.

[17] –أسّسها عبد الرحمن بن رسم سنة (160هـ–296هـ) بتهارت الجزائر، ينظر البيان المغرب، لابن عذارى:1/196.

[18] – أسّسها إدريس بن عبد الله(172هـ– 375هـ) بالمغرب الأقصى.ينظر البيان المغرب، لابن عذارى:1/82.

[19] – تاريخ خليفة بن خياط:464.

[20] – إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال أبو إسحق(140هـ– 169هـ) ولاه الرشيد إفريقية بعد محمّد بن مقاتل العكى فأستقل بملكها وأورث سلطنها بنيه نيفا على مائة
سنة وكان فقيها عالما أديبا شاعرا خطيبا ذا رأى وبأس وحزم ومعرفة بالحرب ينظر الحلة السيراء:93.

دولة الأغالبة هذا الدرع المنيع أيام استقرارها، ونجحت في ضم صقلية إلى ملكها عام 264هـ / 878 م، ولقد استطاعت القيروان أن تفرز طوال أربعة قرون متتالية مدرسة متعدّدة الخصائص أبقت على ذكرها خالدا وحافظت على مجدها التليد. وكانت المدينة آنذاك سوقا للمعرفة يغترف من مناهلها الواردون على أحواضها والمتعطّشون لمعارفها. فطبّقت شهرتها الآفاق وعمّ ذكرها كامل أرجاء المغرب الإسلامي. وانتصب بها منذ أواخر القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي بيتا للحكمة – محاكية لمثيلتها ببغداد في التّبحر في مجالات العلوم الطبيّة والفلكيّة والهندسيّة والتّرجمة – وركّزت مقومات النهضة الفكريّة والعلميّة بالبلاد.

لعلّ من أبرز إسهامات القيروان في الحضارة العربيّة المغربيّة دورها الديني والرّوحي في ترسيخ العقيدة الإسلامية بالمغرب الإسلامي . وكان السبق في ذلك للفقهاء العشرة[21] الذين بعث بهم عمر بن عبد العزيز لتفقيه أبناء إفريقية ومساعدتهم على فهم مناسك دينهم فتعدّدت الكتاتيب والحلق وانتشرت المعارف الدينيّة حتى إذا ما آل الأمر إلى الأغالبة ظهرت طبقة يمتاز رجالها بالعكوف على أقوال الأئمة المجتهدين في التّشريع يجمعون شتاتها ويؤلفون بين موضوعاتها ويبوّبون مسائلها الفقهيّة وينسّقون أحكامها بعد أن وقفوا على تفسير القرآن وعرفوا رواية الحديث والسنن. ومن أعلام هذه الطّبقة أسد بن الفرات، وعبد الله بن فروخ. ثمّ انبرت القيروان بعدما أنضجته الاختلافات المذهبيّة من مناظرات وتيارات دينيّة إلى المالكيّة ،وان نشأ هذا المذهب بالمدينة فقد كان للقيروانيين شرف تدوينه على يدي أسد بن الفرات ، ثمّ سحنون بن سعيد المؤسس الأول لمدرسة الفقه المالكي بإفريقية وأبرز علم في المعرفة الدينيّة بالمغرب الإسلامي قاطبة . وقد واصل تلاميذه إنضاج هذا المذهب بالتبحّر في أبوابه وتفسير أقوال من تقدّم وإيضاح آرائهم ومحاولة تعميم مشاربه ليكون مستوفيا لحاجة المجتمع ومعبّرا عن مآربه، فكانت مؤلّفات محمّد بن سحنون (ت265هـ) في البيوع ويحي بن عمر (ت 289هـ) في أحكام السّوق ومحمد بن عبدوس (ت 260هـ) في تفاسيره . ورغم الاضطهاد الذي تعرض إليه أعلام المالكيّة على يدي الشيعة فانّهم استطاعوا ترسيخ المجتمع الإفريقي خلال العهد الفاطمي، في انتماءاته السنيّة واستيفاء مقوّمات المذهب وتنويع فروعه . ومن أبرز شخصّيات هذا الطور: أبو العرب القيرواني(ت 333هـ) و عبد لله بن أبي زيد القيرواني (ت 386هـ) صاحب الرّسالة و النّوادر والزيادات على المدونة وأبو الحسن القابسي (ت 403هـ) وأبو عمران الفاسي(ت 43هـ) وبذلك يعود الفضل إلى القيروان في إنضاج الفكر المالكي ونشره في كامل بلاد المغرب، فكان أحد مقوّمات وحدة الديار والمصير، وحاميا للمجتمع المغربي من آفات التناحر المذهبي، و مساعدا على دعوة غير المسلمين للإسلام. وبقيت القيروان بين مدّ وجزر حتى وقتنا الحاضر أصبحت قبلة لمعرفة آثار العلماء.

المبحث الثاني : وسطيّة مدرسة القيروان وأثرها على الأقاليم المفتوحة في أفريقيا و أوربا.

مدرسة القيروان من أعرق المدارس الإسلامية في أفريقية كلّها و الغرب الإسلامي جميعه، و هي التي خرج منها النّور و العطاء و العلم و الإيمان، فكانت المصباح الأول في هذه النّاحية، لذلك النّظر في حالها

[21] -ينظر: الطبقات لأبي العرب:20-21.

ووسطيتها يعني وسطية الغرب الإسلامي كله لأنه عنها أخذ و على يديها تربى و من علمائها نهل، وسأعرض في هذا المبحث ثلاثة مطالب، المطلب الأول أعرض فيه وسطية الدّعاة الذين حملوا لواء الدّعوة إلى الله تعالى سواء كلمات أو مواقف أو حقائق، المطلب الثّاني سأعرض فيه الوسطيّة في العقيدة، و أبين وسطيتهم بين مَن جعل العقل هو الإمام و الحَكَم و أهمل الوحي كالمعتزلة، و بين مَن خاض في النّصوص وأهمل استخدام العقل و اللغة للفهم عن الله تعالى، فجاؤوا بطامّات عظيمة تعالى الله عنها علوا كبيرا، والمطلب الثاني الوسطيّة في الفقه، و أعرض فيها بين من كان صاحب رأي محض دون الاعتماد على النّصوص لأي سبب سواء لم تصح عنده فتركها أو لم تبلغه أو كان معرضا عنها، و بين ظاهري خاض في النّصوص فحملها على ظاهرها و وقع في التّناقض، و أذكر عدة أوصاف أخرى تدل على فقه العلماء و حسن تصرّفهم ممّا أثّر في النّاس فجذبهم لدين الله تعالى، و هذه هي الوسطيّة التي تجمع بين النّصوص الشّرعية من جهة و بين القدرات البشرية و التّجارب التي استفادتها.

المطلب الأول: الوسطيّة في الدّعوة.

وكانت القيروان مركز استقبال الفاتحين و العلماء، فقد رُوي عن عشرة من الصّحابة الذين دخلوا القيروان[22]، وقد عد باحث من دخل من الصّحابة للقيروان فبلغ بهم خمسة و أربعين صحابيا[23]،و من صغار الصّحابة مجموعة و من المخضرمين واحد و عشرين رجلا[24]، أمّا التّابعون فكانوا بالآلاف لكنّ الذين اشتهروا كانوا قليلا، فقد بلغوا تسعة وأربعين تابعيا، استقر ثلاثون ورجع الباقي لموطنهم[25]، و أعظمهم أثرا هم العشرة الذين بعثهم أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز لتعليم النّاس بالقيروان[26]، و من العلماء كالرّواة عن الإمام مالك بلغ عددهم تسعة و عشرين راويا و غيرهم كثير[27].

سأنقل كلمات و مواقف من الذين أسّسوا مرورا بالعلماء تبيّن وسطيّة هؤلاء.

-عقبة بن نافع[28]:قال :« يا بني أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها و لا تضيعوها ، إياكم أن تملؤوا صدوركم بالشعر و تتركوا القرآن، فإن القرآن دليل على الله عز و جل، و خذوا من كلام العرب ما يهتدي به اللبيب ويدلكم مكارم الأخلاق، ثم انتهوا عما وراءه،...و لا تقبلوا العلم من المغرورين المرخصين، فيجهلونكم دين الله، وفرقوا بينكم و بين الله تعالى، و لا تأخذوا دينكم إلا من أهل الورع و الاحتياط، فهو

---

[22] -ينظر مدرسة الحديث بالقيروان، الحسين بن محمد شواط: 469-480.

[23] -ينظر المرجع السّابق: 480-502.

[24] -ينظر ينظر المرجع السّابق: 503-504.

[25] -ينظر ينظر المرجع السّابق: 505-506.

[26] -ينظر طبقات أبي العرب:20. -ينظر مدرسة الحديث بالقيروان، الحسين بن محمد شواط: 506-512.

[27] -نظر مدرسة الحديث بالقيروان، الحسين بن محمد شواط: 539.

[28] – عقبة بن نافع بن عبد قيس بن لقيط القرشي يقال: إنّ له صحبة، ولم يصح . شهد فتح مصر، وولى المغرب لمعاوية، ويزيد بن معاوية. وهو الذي بنى قيروان إفريقية، قتلته البربر بتهودة من أرض المغرب سنة ثلاث وستين. يروى عن معاوية. روى عنه ابنه مرّة بن عقبة، وعليّ بن رباح، وبحير بن ذاخر وهو فاتح عظيم و قائد كبير مدفون بسيدي عقبة ولاية بسكرة الجزائر.ينظر: تاريخ ابن يونس:1/349-350.

أسلم لكم، ومن احتاط سلم و نجا فيمن نجا »[29].

فهذه الوصية تبيّن المنهج الذي كان يسلكه عقبة بن نافع و هو التّوسط و الاعتدال و عدم الطّغيان فالأصل هو القرآن و الشّعر خادم له بقدر الحاجة فلا يطغى الفرع على الأصل، هذه هي الوسطيّة و الاعتدال في إنزال كلّ شيء منزله، ثمّ نصحهم عن الأخذ من العلماء الربانيين لا المفرطين و لا المتشدّدين الذين يبعدونهم عن الله تعالى، بل الورع و الاحتياط و خوف الله رأس مالهم حتى تنجوا باتباعهم. هذا منهج مؤسس مدينة القيروان وواضع أسسها الأولى وعلى منواله سارت المدينة بمن فيها.

التّاريخ الواقعي يثبت و يعكس الصورة الحقيقيّة لهذا البطل المغوار و العالم الجليل الذي كان همّه أن يدخل النّاس في دين الله تعالى فبذل من أجل ذلك المهج ، فينقل المؤرخون عنه نجاحه في الدّعوة الطّوعية المبنيّة على حسن العرض و سلاسة المواقف و طيب الخاطر وحسن النيّة، « لم يدخل المغرب الأقصى من ولاة خلفاء بين أميّة بالمشرق إلا عقبة بن نافع الفهري ولم يعرف المصامدة غيره، وقيل إنّ أكثرهم أسلموا طوعا على يديه»[30]،« و أسلم على يديه خلق من البربر و فشا فيهم دين الله تعالى حتى اتّصل ببلاد السّودان »[31]،و بعد استشهاده رحمه الله تعالى وصفها المؤرخون فقالوا:« فانقلبت أفريقيا نارا »[32]، و هذا يدل على مكانته العظيمة في نفوس المسلمين القدامى و الجدد و لولا تأثرهم و محبتهم له لما أشعلوا أفريقيا نارا ، و هذه المحبة و التأثر لا يأتي إلا من خلال العدل و الرّحمة و الإنصاف و الخير ، و هذه هي حقيقة الوسطيّة.

وممّن بعثهم عمر بن عبد العزيز ليعلموا النّاس:

-إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، يكنى أبا عبد الحميد(61هـ-131ه). دمشقي روى عن الصّحابة استعمله عمر بن عبد العزيز على أهل إفريقية؛ ليحكم بينهم بكتاب الله -عز وجل- ، وسنّة نبيه ﷺ، ويفقههم في الدّين. وهو أحد العشرة التّابعين. سكن القيروان، وسار في المسلمين بالحق والعدل، وعلّمهم ...وأسلم على يديه خلق كثير من البربر.[33]ولقد رباه أبوه على الصّدق[34].فقد تربى على حبّ القرآن و تعليمه مجانا و الصدّق و لو كلف الحياة، و كانت الثّمرة الحقيقيّة إن أسلم على يديه و هو معلم و داعية خلق كثير من البربر لعدله و رأفته و رحمته و صدقه وهذه هي الوسطيّة بعينها.

- قال أبو العرب: حدّثني فرات، قال: سمعت عبد اللَّه بن أبي حسّان، يقول: كان إسماعيل بن عبيد المعروف بتاجر اللَّه، يُوجِّه المولّدات والأحمال إلى المشرق، قال: فوجّه رفقة كلّها له، فخرج يُشيّعهم إلى قصر الماء، فسمع بكاء، فقال: ما هذا؟ فقيل له: هؤلاء المولّدات اللّائي وَجّهت يبكين مع أبائهنّ وأمّهاتهنّ وأخواتهنّ، فبكى إسماعيل، وقال: «إنّ دنيا بلغت بي أن أُفرِّق بين الأحبّة، إنّها لدنيا سوء، أشهدكم أنّ كلّ من

[29]- صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي و شمال أفريقيا' للدكتور علي محمد الصلابي :284.
[30] - البيان المغرب ، لابن عذارى:42/1.
[31] -معجم البلدان لياقوت:420/4.
[32] - رياض النّفوس، للمالكي:28/1.
[33] -تاريخ ابن يونس:37/2-38 رقم 93.
[34] -ينظر: سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني:974/1-975.

لها أب، أو أمّ، أو أخ، أو أخت في هذه الرِّفقة، فهي حرّة» ، قال عبد اللّه بن أبي حسّان: فأنزل من المحاسن سبعين مُولّدة.[35]إنّها الرّحمة التي تدعوا للخير، و تجلب النّاس للحق، من أجل الرّحمة يبذل ماله، ويندم على فعله الذي شعر أنّه آذى به غيره، بمثل هؤلاء دخل النّاس في دين الله إنّا الخيريّة أي الوسطيّة.

و من علماء القيروان:

-عبد الرحمن بن زياد الإفريقي أبو خالد وكان أول مولود ولد بإفريقية فى الإسلام ، وولى القضاء بإفريقية (ت156هـ): قال عبد اللّه بن الوليد، وحدّثوا أنّه لمّا غلبت البربر على القيروان، وفد إلى الخليفة رجال، قال عبد الرّحمن: فكنت أنا فيهم، قال: فلمّا صرت إليه قال لي: «كيف رأيت ما وراء بابنا» فقلت له: رأيت ظلما فاشيا وأمرا قبيحا، قال عبد الرّحمن، فقال أبو جعفر: «لعلّه فيما بعد من بابي» ، فقلت: بل كلّما قربت من بابك استفحل الأمر وغلب.[36] فالصّدع بالحق و إزالة الظلم و لو كان أمام أقوى رئيس في العالم يعدّ سمة بارزة عند العلماء، إنّه العدل و الحق و الوسطيّة.

- الإمام سحنون بن سعيد التّنوخى أبو سعد (160هـ-240هـ) قاضى إفريقية و عالمها:

التّرتيب في الدور: وكان سحنون يكتب للنّاس أسماءهم في رقاع، تجعل بين يديه، ويدعو بهم واحداً واحداً إلى أن يأتي مضطر أو ملهوف.[37] يراعي الأول فالأول إلا المضطر فله حكم خاص، وهذا من تمام العدل والرّحمة وهي الوسطيّة بعينها يعلّمها للنّاس علنا و يجعلها منهجا يتبعونه.

استقلاليّة القضاء : الجرأة في الحق والحكم العدل بين النّاس ولو كان من قرابة الأمير فقد روي عن سحنون أنّه قال: «لم أكن أرى قبول هذا الأمر، حتى كان من الأمير ضمينان: أحدهما أعطاني كل ما طلبت، وأطلق يدي في كل ما رغبت، حتى أني قلت له: إبدأ بأهل بيتك، وقرابتك، وأعوانك، فإن قبلهم ظُلامات النّاس، وأموال لهم، منذ زمان طويل. إذ لم يجترئ عليهم من كان قبلي. فقال لي: نعم لا تبدأ إلا بهم، واجرِ الحق على مفرق رأسي. فقلت له: الله، قال لي: الله، ثلاث مرات. وجاءني من عزمه مع هذا، ما يخاف المرء على نفسه، وفكرت فلم أجد أحد يستحق هذا الأمر، ولم أجد لنفسي سعة في رده».[38]

المطلب الأول: وسطية مدرسة القيروان في العقيدة.

عرفت الأمّة الإسلاميّة بعد دخول النّاس في دين الله تعالى، و انتقال ثقافات الشّعوب و مواريثهم الفكرية إلى الأمّة و وقعت تساؤلات عقدية تطلب الإجابة من قبل علماء المسلمين سواء كانت تساؤلات بريئة ملحة أو مكيدة للإيقاع بالمسلمين، و ما وقعت من مناظرات بين المسلمين و غيرهم ، كلّ هذه ساعدت على ظهور آراء لم تكن موجودة من قبل ، و أخذت هذه الآراء تبحث عن أدلة و مستندات شرعية لشرعنة كلامها، فتكونت الفرق الإسلامية المتعددة و أضحت الأمة الإسلامية بين طرفي نقيض ، بين الإفراط و التفريط، و في ظل هذا الوضع برز علماء كبار للدفاع عن عقيدة المسلمين الصافية والوقوف موقف الوسطية السمحة، و هذا

[35] -الطبقات لأبي العرب:20.
[36] -المصدر نفسه:30.
[37] -ترتيب المدارك لعياض:60/4.
[38] -المصدر نفسه:56/4.

الأمر لم يكن أهل المغرب بمنأى عنه فقد انتقلت له عدوى الفرق و مقولاتها و سنرى في هذا المطلب المنهج الوسطي لعلماء المغرب و كيف أسسوه و دافعوا عنه و كتبوا فيه و خاصّة حاضنة القيروان.

ولعلّ من أبرز الأدلة النّاصعة على وسطيّة المدرسة القيروانيّة و أكثر التّفاسير قَبولا لانتشار العديد من المذاهب الفقهيّة كمذهب الإمام أبي حنيفة و الإمام الأوزاعي والإمام مالك و الإمام الشافعي و الإمام داود الظاهري، و انتشار عديد من الفرق الإسلاميّة كالمعتزلة و الخوارج والشّيعة والسّنة[39] ، ممّا يدل على توفر الأمن والحرية لحد ما في اعتناق ما يبدو أنّه صحيح بالنّسبة لكلّ شخص، و ليس هناك احتكاك في الأعمّ الأغلب إلا بالحوارات العلميّة ومقارعة الحجة بالحجة، سواء مع المخالفين في الدّين أو في أصول الإسلام أو فروعه، هذا هو منهج الوسطين وهو الوقوف في الوسط و النّظر للكلّ من مسافة متساوية والغلبة للحجة والعدل و الفضل، وهذه كلّها معان الوسطيّة، و لمّا جاء زمن التّدوين قام علماء بذلك و لعلّ من أبرزهم الإمام الكبير الذي كان يلقب بمالك الصّغير، الإمام ابن أبي زيد القيرواني ، فلقد عاش في عصر يعجّ بالفِرق: المرجئة و المعتزلة، والخوارج و الشيعة [40]ممّا دفعه أن يعتني بالعقيدة، و كان لا يقل شهرة فيها عن الفقه ، و توجه بالتأليف للناشئة حتى يتربوا على العقيدة الصافية الوسطية فتكون كطعم لهم حتى لا تخدعهم الأهواء الأخرى بعد أن شربوا العقيدة الصّافية منذ نعومة أظافرهم فجاءت مؤلفاته في بداية الرسالة ، فجاءت مختصرة مفيدة فلم تتجاوز خمس صفحات، ثمّ توسعت في الجامع فبلغت ثماني صفحات وتناولت العقيدة الإلهيات فوصف ابن أبي زيد الله عز وجل بالوحدانية في ذاته و صفاته و أفعاله، فقال:« أن الله إله واحد لا إله غيره و لا شبيه له و لا نظير»[41] ، ونفي الإمام الشّريك في الأفعال تنبيه عن انحراف المعتزلة بإثباته مقدرة الإنسان على خلق أفعاله، فقال :« تعالى أن يكون في ملكه مالا يريد، أو يكون لأحد عنه غنى، أو يكون خالق لشيء إلا هو»[42] و نفي الشبيه كما سبق هو نفي مشابهة أي شيء، بأي وجه من المشابهة و هو التنزيه الكامل الذي يرد على المجسمة و المشبهة[43] ، فهي عقيدة وسطية بين فرق على حافتي القول و النظر،و النبوات[44]، و السّمعيات و هي العقائد السّمعيّة التي تثبت بالسّمع أي بالوحي، ليس للعقل مدخل [45]،و هذه مباعدة عن المعتزلة الذين ينفون ثبوت العقيدة بالسّنة[46]، و بين من يثبت العقيدة بأحاديث لا تقبل حتى في نواقض الوضوء [47]، و هذا الكلام الذي قاله الإمام ابن أبي زيد القيرواني هو كلام مَن سَبَقه من أهل العلم فقال: « و كلّ ما قدمنا ذكره ، فهو قول أهل السّنة و أئمة النّاس في الفقه

[39]- ينظر الترتيب:1/25-26.

[40] -الصراع المذهبي بأفريقية:159.

[41] -الرسالة :5.

[42] -الرسالة :6.

[43] -ينظر أقوالهم و لمن تنسب إلى مقالات الإسلاميين لبي الحسن 1/279-293.

[44] -و هي بعث الأنبياء و إنزال الكتاب عليهم و دورهم في هداية الخلق و شرح الدين لهم ، ينظر الرسالة:6.

[45] -الإرشاد للجويني: 359.

[46] -ينظر تدريب الراوي:1/71 .

[47] -ينظر كتاب دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه لابن الجوزي .

والحديث، على ما بيناه .و كلّه قول مالك، فمنه منصوص من قوله، و منه معلوم من مذهبه»[48]،و منهم شيوخه الكثر الذين قاوموا المد الشّيعي كابن اللباد و أبي العرب ،و أبي الفضل العباس بن عيسى، و أبي سليمان بن ربيع، و العسّال ، والإبياني ، و أبي عثمان سعدون بن أحمد ، و أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد أبي محمّد عبد الله الأصيلي [49]، و لمّا حجّ التقى جمعا من العلماء و أجازه آخرون دون لقائهم[50].

و هذا الإمام العَلم هو تلخيص لمدرسة القيروان التي أسّسها الفاتحون و من بعدهم من العلماء و الأئمة، تبيّن وسطية الأمر منذ العهد الأول، فهو جمَع كلام مَن سبق، و لخصّه، و بوبه، وأخرجه.

وكان علماء القيروان يقولون مقولات يثبتون بها عقائد النّاس حتى لا ينخدعوا من غيرهم و من أمثلة ذلك قول أسد بن فرات: «القرآن كلام الله ليس بمخلوق، إنّ الله على العرش استوى بلا كيف، ويُرى في الآخرة كيف يشاء لا كما يشاء العباد »[51].

القرآن كلام الله هذه مسألة خاض فيها العلماء من مختلف الطّوائف فالمعتزلة يقولون مخلوق وتأولوا مجموعة من الآيات، و قابلهم طرف آخر فقال ما في المصحف كلام الله، و قال أهل السّنة الكلام النّفسي غير مخلوق وهو صفة من صفات الله تعالى، أمّا المكتوب في المصحف فكتابته مخلوقة[52]، ولذلك كتب الإمام البخاري كتابه الشّهير خلق أفعال العباد، فهذه وسطية بين مَن جعل القرآن مخلوقا كلّه وبين مَن جعل حتى المصحف و الحروف المكتوبة و التّلاوة له قديمة.

وأمّا الاستواء على العرش ففيها خاض الخائضون بين من نفى الصّفة كلّها و بين من شبه بالخلق و أهل السّنة يقولون استوى على العرش بلا كيف وهو مروي عن أمّ سلمة رضي الله عنها و الإمام مالك وهذا هو التّوسط بين القولين[53].

ورؤية الله يوم القيامة كذلك من مسائل النّزاع بين الفرق فمنهم من نفى الرؤية، و منهم من أثبت الرؤية وجعلها كعالمنا اليوم النّظر إلى جهة، و أهل السّنة أثبتوا الرؤية لكن كما يريد الله و يعلم ذلك لا كما نريد نحن.[54]

المناظرات مع المخالف وعدم إكراهه على آرائهم: وممّا يزيد في إيضاح وسطيّة علماء القيروان استعمال المناظرات بينهم و بين علماء الطّرف الآخر حتى يبنوا الحق لكلّ النّاس دون فرض الرأي و لا قبول الرأي المفروض بل لابد من العدل و الإنصاف فالحجة تقرع الحجة.

كان أبو عثمان ابن الحداد الغسّاني-رحمه الله- له قوة المناظرة، بالغ الحجة، دقيق الفهم، بصير المذهب، عجيب الرد، له ثقة في ما يناظر عليه لا يخاف لومة لائم. ومع ذلك من سمع من الخصوم إلاّ ورجعوا إلى الحق

---

[48] -الجامع، لابن أبي زيد القيرواني:117.

[49] - ينظر ترتيب ، القاضي عياض، فقد ذكرهم كلهم، 5/286-295، 5/323-326، 5/297-310، 5/310-321، 10/6-12، 7/136.

[50] -ترتيب المدارك، للقاضي عياض،6/217.

[51] - الرياض، للمالكي : 1/264.

[52] -ينظر الإنصاف للباقلاني:37-38-39، بيان كذب المفتري، لابن عساكر:1/150، و الملل و النحل، للشهرستاني:1/44

[53] -ينظر الإنصاف للباقلاني:12-13، الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي:1/38

[54] -ينظر الإنصاف للباقلاني:68.و الملل و النحل، للشهرستاني:1/42.شرح الطحاوية، لابن أبي العز:195.

أو تكتَمُوا جواباً ورداً على حجته .

ووصفه الزُّبيدي بقوله: «وكان الجدَلُ أغلبَ الفنون عليه، وكان دقيق النّظر جداً، ثابت الحجّة، شديد العارضة، حاضر الجواب صحيح الخاطر»[55]، ومن أشهرها مناظراته مع العبيديين[56]، وكذلك غيره من علماء القيروان وأمّا المناظرات في الفروع بينهم فهي أكثر من أن تحصر.

المطلب الثاني: وسطية مدرسة القيروان في الفقه:

تواضع الفقهاء :ذكر أنّ البهلول بن راشد، كتب إلى علي بن زياد، أن يُسمع سحنون، وقال له: إنما كتبت إليك في رجل يطلب لله. وقد روي إنه إنما كتب البهلول في عهد المتعالي الجدري، فسأله علي عن موضعه، ثمّ أخذ علي الموطأ. فأتاه ليسمعه في موضعه. وقال له: إنّ بهلول كتب إلي يعلمني إنّك ممن تطلب لله.[57]ولقد قال: قال لي أبو يوسف: لقد قدمت بموطّأ مالك أعطيته " فقال لي محمّد بن الحسن: «إنّ أبا يوسف يرضى من العلم بشمّة فأعطيته أنا» قال: فأخذه عنّي محمّد بن الحسن.[58]وهذا التّواضع هو الذي شكّل عقليّة التّلاميذ و الأتباع على الاعتراف بالحق، و قبوله ممّن صدر، و خفض الجناح للآخر، وحسن الاستماع إليه و معرفة صوابه من خطأه و توجيهه للحق و ممّا سهّل على غير المسلمين الدّخول في الإسلام.

الأخذ عن كلّ العلماء دون تمييز:وإنّما روى جامع سفيان الكبير البهلول بن راشد، عن عليّ بن زياد، عن سفيان، وحدّثني محمّد بن خالد، عن أبيه، قال: قال لنا البهلول بن راشد: قوموا بنا نذهب إلى ابن خارجة، عنبسة بن خارجة، نسمع منه جامع سفيان الثّوريّ، يعني: جامعه في الرّأي،[59]

وأرسل أسد بن الفرات وهو قاض إلى سحنون، وعون وابن رشيد وموسى الصمادحي، فسألهم عن مسألة في الأحكام، فأجاب فيها ابن رشيد وعون، وأبى فيها سحنون عن الجواب. فلما أخرجوا عذلاه في تركه. فقال لهما: منعني إنكما بدرتما بالجواب فأخطأتما، وكرهت إن أخالفكما فندخل عليه إخواناً ونخرج أعداء، وبيَّن لهما وجه خطأهما. فجزياه خيراً، واعترفا. ورجع إلى أسد، فأخبراه برجوعهما. قال القاضي: لعل سحنون عدل على ما عرف من فضلهما، من أنهما إذا بين لهما وجه خطأهما رجعا، فأعلم أسداً برجوعهما كما فعلا. وإن الحكم، كان بعد لم يحن وقت نفوذه. وإلا فهو في فضله وورعه كان لا يسكت على مثل هذا، إلا رجاء أن يستبين الحق بلا تعلة، ولا مخالفة.[60]

نقل المالكي عنه: «أنّه إذا سرد أقوال العراقيين ، يقول مشايخ كانوا يجالسونه ممن يذهب مذهب أهل المدينة أوقد القنديل الثاني يا أبا عبد الله فيسرد أقوال أهل المدينة»[61].

«و المشهور عن أسد أنّه كان يلتزم أقوال أهل المدينة و أهل العراق ما وافق الحق عنده ويحق له ذلك

---

[55] – طبقات النّحويين واللغويين، للزُّبيدي ص.239

[56] – ينظر: رياض النّفوس :،ج2ص 57.

[57] –ترتيب المدارك ، للقاضي:4/47.

[58] –طبقات علماء القيروان لأبي العرب، ص 82.

[59] – المصدر السابق ص 52.

[60] –ترتيب المدارك، للقاضي:4/75.

[61] –الرياض، للمالكي :1/263.

لاستبحاره في العلوم و البحث عنها و كثرة من لقي من العلماء و المحدثين»[62].ومن الإنصاف أن يسمع لكلّ العلماء سواء من مذهبه أو من غيره ثمّ التّمحيص و إتباع الحق و الدّليل ولو خالف إمامه والإفتاء به و هذه من صفة العدل الذي يعني الوسطيّة.

يقول المقدسي: « وما رأيت فريقين أحسن اتفاقا وأقل تعصبا من أهل القيروان، وسمعتهم يحكون عن قدمائهم حكايات عجيبة، حتى قالوا: إنّه كان القاضي سَنة حنفيا، وسَنة مالكيا».[63]

-الجمع بين الحديث و الفقه بين الرّأي و الأثر: و الجمع بين النّص و الرأي أثار معارك طاحنة بين مدرستي العراق و الحجاز حتى وصل عند البعض بالتّهمة في الدّين، لذلك حري بمن يريد استقرار الأمر أن يجمع بين الأمرين و لا يهمل جمع النّصوص و لا إعمال العقل واجتهاد الرأي، وكان الإمام سحنون مؤسس المذهب المالكي في القيروان ممّن جمع بين الحديث و الفقه وكان عَلَما فيهما معا، فقد سمع الموطأ من أربعة شيوخ علي بن زياد و ابن القاسم و ابن وهب وابن غانم[64]، و سمع جامعي الثوري الكبير و الصغير، و سمع جامع ابن وهب و سمع ابن عيينة سنتين و من أشهب، و ابن مهدي و وكيع و أبي داود الطيالسي و حفص بن غياث وغيرهم الشّيوخ الآخرين، وهؤلاء كبار محدثي الدّنيا، كما نقلت عنه أقوال في علوم الحديث ،قال سحنون: «يؤخذ هذا العلم من الموثوق بهم في دينهم، الحسن مخبرهم »[65]،« من صحت كتبه صحت روايته، من سَقم كتابه سقمت روايته»[66]، روى سحنون عنه حديثاً يرويه عن نافع فوجه إليه وقال له أنت سمعته من ابن نافع الصايغ؟ فقال له: أصلحك الله إنما سمعت من ابن نافع الزبيري. فقال له: لِمَ دلست؟ ثمّ قال سحنون: ماذا يخرج بعدي من العقاريب. وذلك أن ابن رزين لم يدرك عبد الله بن نافع الصائغ. وإنّما أدرك عبد الله بن نافع الزبيري مات الصّائغ قديماً. وتأخر موت الزبيري.[67]

وعن محمّد بن سحنون، أنّه قال: قلت لسحنون: إنّ أبا حفص الفلاسيّ، قال: «ما سمعت يحيى بن سعيد القطّان، وعبد الرّحمن بن مهديّ، يحدّثان عن عبد الرّحمن بن زياد بن أنعم» ، فقال سحنون: لم يصنعا شيئا، عبد الرّحمن ثقة.[68] ويقول سحنون:« إني لأخرج من الدنيا و لا يسألني الله عز و جل عن مسألة قلت فيها برأي»[69]، فهذه النّقول و الأقوال تبين مدى اهتمام الإمام سحنون بالحديث و معرفته بأنواع علومه المختلفة، وثبوت أقوال عنه جرحا وتعديلا للرواة وقبول من جاء بعده تلك الأقوال يدل على براعته في الحديث ومدونته وما تحوي من آثار أكبر دليل على سعة اطّلاعه و تبحره و كثرة شيوخه،و قد عمِل أحد الباحثين على المدونة لينظر كم حديثا في مجموع آثارها ،فأخرج منها 591 حديثا، منها381 في الصّحيحين ، و131 حسنة، و70

---

[62] -الرياض :1/263.
[63] – البيان المغرب 1/155.
[64] – الرياض: 1/217.
[65] – الترتيب للقاضي : 3/267.
[66] – الرياض: 1/373.
[67] – الترتيب، للقاضي:4/191.
[68] –طبقات أبي العرب:29.
[69] –الرياض: 1/354.

ضعيفة ضعفا منجبرا، و9 ضعيفة جدا و ليس فيها حديث موضوع[70]، أما الفقه فكلّ النّاس يسلمون له إمامته في الفقه، فقد رافق العلماء الكبار فهو يحكي عن نفسه، قال سحنون:« لما حججت كنت أزامل عبد الله بن وهب، وكان معنا أشهب وابن القاسم، فكنت إذا نزلت ذهبت إلى عبد الرحمان أسائله إلى وقت الرحيل، فقال لي ابن وهب وأشهب لو كلمت صاحبك ليلة واحدة يفطر عندنا. فكلمته. فقال إنّ ذلك يقل علي»[71].فهذه رحلة مباركة يرافق فيها ثلاثة من أنجب أصحاب الإمام مالك في الفقه و الحديث و الأدب و الزهد، و وقال الإمام سحنون: «إني أحفظ مسائل فيها ثمانية أقوال من ثمانية أئمة فكيف ينبغي لي أن أعجل بالجواب حتى أتخير» [72]فهذه خلة كبيرة أن يحفظ في المسائل أقوالا عديدة من علماء مختلفين ثم يجتهد فيتخير.و هذا أحد شيوخه يشهد له :« وسئل أشهب من قدم إليكم من المغرب؟ قال: سحنون. قيل: فأسد؟ قال: سحنون والله أفقه منه بتسع وتسعين مرة. وقال أشهب: ما قدم إلينا من المغرب مثله»[73].

وبمنهج الإمام سحنون تخلى النّاس عن الأسدية بقلة آثارها و تأثرها بالفقه الحنفي و طريقة تناول المسائل الفقهيّة، وانكبوا على المدونة التي تجمع بين النّص و فقهه، و بهذا المنهج استطاعت مدارس القيروان أن تحافظ عن صفاء أقوالها لأنّها صادرة من مشكاة النّبوة. و زد على ذلك أنّ الإمام سحنون وصفه أحد كبار المتكلمين إنّه كان من كبار المتكلمين قال سعيد بن الحداد:« جالست المتكلمين، فكلّ من لقيت من أهل العلم، فما رأيت منهم أصح غريزة من سحنون. وكان وقوراً فيها. »[74]

– تربية التّلاميذ على أنواع الأدب كلّها: كان الإمام سحنون يؤدب أصحابه على كلّ أنواع الآداب من الاحترام و الحياء،« وكان يزيد بن بشير يبجل سحنون ويعظمه. وقال: كنت بتونس، فبلغني مقامه من الإسلام وبركته ويقدم إلي رجل من أصحابه فأعرف فيه الأدب، وربما قدم إلي رجل من عند حرملة فأعرف فيه قلة الأدب، فأقول له: فهلا كنت مثل من يؤدبه سحنون»[75].

– هو خيار الأمّة: قال أبو العرب:« لما عزل ابن أبي الجواد، قال سحنون: اللّهم ولّ هذه الأمة خيرها، وأعدلها. فكان هو الذي ولي بعده.[76] فهذا دعاء من سحنون فكان هو المقصود فهو الخيار من الأمة فهو الوسط.

اعتراف الخصوم في الفروع لبعضهم: لمّا أراد محمد بن الأغلب أن يولي سحنون، جمع الفقهاء للمشاورة. فأشار سحنون سليمان بن عمران، وأشار سليمان بسحنون، وأشار غيرهم بسليمان، فادخلوا فرادى، فقالوا: كقولهم الأول وذلك أن أكثر الفقهاء كانوا إذ ذاك على رأي الكوفيين. وكان سليمان يرى رأيهم. وقال سليمان: ما ظننت أنّه يشاور في سحنون. حجبت فرأيت أهل مصر يتمنون كونه بين أظهرهم. وما يستحق أحد القضاء وسحنون حيّ.

---

[70] –ينظر كتاب تخريج أحاديث المدونة، د. طاهر محمد دريدي:1086/2

[71] –الترتيب للقاضي : 258/3.

[72] –الطبقات :103.

[73] –الترتيب للقاضي:48/4.

[74] – المصدر نفسه:51/4.

[75] –المصدر نفسه:49/4.

[76] –المصدر نفسه:55/4.

ومن العَدْل والإنصاف الاعتراف للخصوم في الفروع بالقدرة :بعث ابن الأغلب إلى سحنون يقول له: إنّي أريد أن استكفي قضاء رعيتي، فاعلمه. فقال: أصلح الله الأمير، لا أقوى عليه. أدلك على من هو أقوى. سليمان بن عمران.[77]

والقيام على أمور المسلمين وتحمّل المسؤوليّة: كتب عبد الرحيم الزاهد إلى سحنون، لما ولي القضاء: أما بعد فإني عهدتك، وشأن نفسك عليك مهم، تعلم الخير وتؤدب عليه، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة، تؤدبهم على دنياهم، يذلّ الشريف بين يديك والوضيع. قد اشترك فيك العدو والصديق ولكلّ حظه من العدل. فأي حالتيك أفضل: الحالة الأولى أم الثانية؟ والسلام. فكتب إليه سحنون: أما بعد فإنه جاءني كتابك فهمت ما ذكرت فيه، وأني أجيب أنه لا حول ولا قوة في شيء إلا بالله تعالى، عليه توكلت وإليه أنيب. فأما ما كتبت أنك عهدتني وشأن نفسي عليّ مهم، أعلم الخير وأؤدب عليه، وأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة، أؤدبهم على دنياهم، ولعمري أنه من لم تصلح له دنياه، فسدت له أخراه. وفي صلاح الدنيا إذا صح المطعم والمشرب، صلاح الآخرة. فكِلا الأمرين متصل بالآخرة. أؤدبهم في معاملتهم، ودفع ظالمهم عن مظلومهم، وأخذهم الأمور من وجوهها، أدب لأخرتهم. لأن بصلاح دنياهم لهم آجرتهم. وبفساد الدنيا تفسد الآخرة. وقد حدثني ابن وهب، ورفع سحنون سنده إلى النّبيﷺ، قال: نعم المطية الدنيا، فارتحلوا، فإنها تبلغكم الآخرة. ولن تبلغ الدنيا الآخرة من عمل في الدنيا بغير الواجب من حق الله. وأما قولك وليت أمر هذه الأمّة، فإني لم أزل متبلي ينفذ قولي، منذ أربعين سنة، في أشعار المسلمين وأبشارهم. حدثني ابن وهب: أن عبيد الله بن أبي جعفر قال: لن تزالوا بخير ما تعلمتم. فإذا احتيج إليكم فانظروا كيف تكونوا. قال ابن أبي جعفر فرأيت في المنام، إنما المفتي قاض يجوز قوله، في أبشار المسلمين وأموالهم. فعليك بالدعاء. فألزم ذلك نفسك والسلام.[78]

فلمّا مات سحنون ولي سليمان مكانه. قال سليمان: قال لي سحنون: ابتليتني. فوا الله أيبتلينك فولاني القضاء وقال لي: عليك يا أبا الربيع بالحجازية الحجازية. فقلت: القاضي مفتي، بما كنت أفتي به، فيه أقضي. فسكت عني وكان سليمان عراقي المذاهب.[79]

الرفق بالشاهد: وكان إذا دخل عليه الشاهد، ورعب منه، أعرض عنه، حتى يستأنس، ويذهب روعه. فإن طال ذلك به هون عليه. وقال له: ليس معي سوط ولا عصا، فلا عليك بأس. أد ما علمت ودع ما لم تعلم.[80]

احترم مكانة أهل العلم: قال ابنه محمد: وتخاصم إليه رجلان صالحان من أصحابه، ممن نظر في العلم، فأقامهما، وأبى أن يسمع منهما. وقال استرا عني ما ستر الله عليكما.[81].

المحافظة على أسواق النّاس و منع الغش: قال غير واحد: أول ما نظر سحنون في الأسواق، وإنما كان ينظر فيها الولاة دون القضاة. فنظر فيما يصلح من المعاش، وما يغش من السلع، ويجعل الأمناء على ذلك، ويؤدب على

---

[77] -المصدر نفسه:4/56.

[78] -ترتيب المدارك ، للقاضي عياض:4/57-58.

[79] -المصدر نفسه:4/58.

[80] - المصدر نفسه:4/59.

[81] - المصدر نفسه:4/60.

الغش، وينفي من الأسواق من يستحق ذلك، وهو أل من نظر في الحسبة من القضاة، وأمر الناس بتغيير المنكر.[82]

المحافظة على دِين العامّة و عدم التّغرير بهم: « وأول القضاة مَن فرق حلق أهل البدع، وشرد أهل الأهواء منه. وكانوا فيه حلقاً. من الصفرية والإباضية المغيرية، وكانوا فيه حلقاً. يتناظرون فيه. ويظهرون زيفهم. وعزلهم أن يكونوا أئمة للناس، أو معلمين لصبيانهم. أو مؤذنين. وأمرهم أن لا يجتمعوا. وأدب جماعة منهم بعد هذا، خالفوا أمره، وأطافوا، وتوب جماعة منهم، فكان يقيم من أظهر التوبة، منهم علي البوا كذا وغيره، فيعلن بتوبته عن بدعته». [83].

قال عيسى بن مسكين: « فحصل النّاس بولايته على شريعة من الحق، ولم يل قضاء أفريقية مثله». [84]

إحقاق الحق: قال ابن الحداد: « كنت يوماً عند سحنون، إذ جاءه رسول الأمير محمد بن الأغلب، يأمره برد النسوة على حاتم. فإنهن له. قال سحنون إن كن إماء فمثل حاتم لا يؤتمن على الفروج. فانصرف ثم رجع. فقال: يقول لك: لا تعبث. اردهن، كما أمرتك. فقام سحنون على قدميه، وقال: « إنّما يعبث هو، والله الذي لا إله إلا هو، يعبث، ثلاثاً. والله لا أفعل، حتى يفرق بين رأسي وجسدي». [85]

يقول الدباغ: «جزى الله مشيخة القيروان خيرا، هذا يموت، وهذا يضرب، وهذا يسجن، وهم صابرون لا يفرون، ولو فروا لكفرت العامّة دفعة واحدة». [86]

الخاتمة

و بعد هذه الجولة في تعريف الوسطيّة و مدرسة القيروان و آثارها في دعوة غير المسلمين في أفريقية و أوربا نخلص لما يلي:

– أنّ الوسطيّة هي العدل، والإنصاف، والتّوسط وعدم الميل على حساب الحق، وإن كان الطّرف الآخر خصما.

– أنّ الوسطيّة صفة تكسو كلّ التّصرفات والمواقف، و ليست ترفا حضاريّا حبيس الكتب، أو تُزيّن بها جلسات التّرف.

– أنّ الوسطيّة أمر رباني ، و صفة ملازمة للشّريعة، و ليست نافلة من الفعل، و أنّ الاتصاف بها انعكاس لحقيقة الفهم الصّحيح للإسلام.

– أنّها سرّ من أسرار نجاح المسلمين في دخول قلوب النّاس، على فاقة و ضعف و قلة حيلة.

– أنّ القيروان تُعتبر منارة علم و حضارة و دعوة وكانت إسهاماتها كبيرة في الفتوح العسكرية و الدعوية على قارتي أفريقية و أوربا.

– أنّ الفاتحين و العلماء الّذين وفدوا للقيروان أو الذين وُلدوا، قد تربّوا على الوسطيّة و عاشوها وطبقوها في شؤونهم كلّها، و لم تكن كلمات تقال في الدّروس فقط، رغم أنّهم على غلبة و منعة .

---

[82] – المصدر نفسه:4/60.

[83] – المصدر نفسه:4/60.

[84] – المصدر نفسه:4/61.

[85] –الترتيب:4/64.

[86] – البيان المغرب 1/188.

- تتجلى وسطيّة الفاتحين و الدعاة فيما يلي :

-1- لا يجعلون الخلاف العقدي أو الفقهي سببا للنّفور ، بل يجعلونه طريقا للوصول لقلوب النّاس.

-2- يقدمون الاحترام لغيرهم و يتواضعون له، وينصفونه من أنفسهم.

-3- يشهدون لغيرهم بمكانتهم و لو كان من المخالفين.

-4- لا يحملون النّاس على قَبول رأيهم بل يجعلون الحوار و المناظرة سبيل إيصال الحق.

-5- يحرصون على مصالح النّاس ويتفانون في خدمتها، و قول الحق ولو كان فيه ضرر على أشخاص.

- أثرت هذه الوسطيّة في المجتمع من خلال الصّور التّاليّة:

-1-اتّباع الحق و لو على حساب الفرقة، أو المذهب، أو الشّخص، والإنصاف و العدل مع كلّ النّاس، بإظهار جدارة المخالف و ذكر محاسنه جنب عيوبه، و الرّفق به و قَبول أعذاره، و احترام وجهة نظره، و احتمال أخطاءه،و التّبرير له وحمل تصّرفاته على أحسن المحامل ممّا يسهل عودته.

-2- إظهار محاسن الإسلام بالوسطيّة، و ذلك بعدم تشويه الآخر، و عدم حشو قلوب الأتباع بالحقد عليه.

-3- الاجتماع على القضايا الكبرى للأمّة، و القيام بها رغم الخلافات في الأصول أو الفروع.

-4- ترابط المجتمع و الحفاظ على وَحدته و هويته رغم العواصف العاتيّة الّتي هبت عليه.

-5- عدم تشرّد أبناء المجتمع، و الحفاظ على الحدّ الأدنى من ضروريات الحياة.

-6- حلّ كلّ المشاكل الاجتماعيّة في ظل الأخوة في الدّين أو الوطن.

-7- تقديم المصلحة العامّة على الخاصّة، و الإبداع في إحداث تغيرات في كلّ الميادين ممّا يضمن تحقيق المصلحة للكلّ كالقضاء مثلا.

التّوصيات:

- أوصي ببثّ روح الوسطيّة داخل البرامج التّعليميّة، و الإعلاميّة ، و عبر كلّ منابر البناء و التّغيير.
- **تدريب النّاشئة على الوسطيّة، و البحث فيها، و رصد جوائز قيّمة لذلك، لأنّها صمّام أمان للمجتمع.**
- **إبعاد كلّ ما من شأنه أن يؤثر على وسطيّة المجتمع، وخاصّة في ظل الانفتاح الكبير على العالم الالكتروني.**
- **دراسة تاريخنا المشرق، وإظهار الوسطيّة الّتي غمرت أغلب فترات التّاريخ.**
- **إبراز الآثار الطّيبة للوسطيّة، وإنجازاتها عبر العصور، ودورها في التّماسك الاجتماعي، رغم تعدد ألوانه.**
- **استخلاص التّجارب في ميدان الوسطيّة، من خلال دراسة سير الرّجال.**

قائمة المصادر و المراجع:

-القرآن الكريم.

2- أساس البلاغة، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)،تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1419 هـ - 1998 م.

3- الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: 505هـ)،وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1424 هـ - 2004 م.

4- الإنصاف فيما يجب و لا يجوز فيه الخلاف، لأبي بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى : 403هـ).

5- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، أبي عبد الله محمد بن محمد (المتوفى: نحو 695هـ)،تحقيق

ومراجعة: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، الناشر: دار الثقافة، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1983 م

6- البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبي عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ(الناشر:دار ومكتبة الهلال، بيروت عام النشر1423هـ.

7- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)،الطبعة: الأولى، 1422هـ.

8- الجامع في السنن و اللآثار و المغازي والتاريخ لابي محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني، حققه و علق عليه محمد أبو الأجفان عثمان البطيخ ، ط1403:2هـ/1983م.مؤسسة الرسالة بيروت لبنان المكتبة العتيقة تونس.

9- الحلة السيراء، لابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: 658هـ)،المحقق: الدكتور حسين مؤنس، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1985م.

10- الصراع المذهبي بإفريقية إلى قيام الدولة الزيرية، لعبد العزيز المجدوب، دار سحنون / دار ابن حزم، 2008م.

11- الملل والنحل، لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد سيد كيلاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، 1404ه.

12- الوسطية مفهوما ودلالة، د. محمد ويلالي، بحث منشور على موقع الألوكة
http://www.alukah.net/culture/0/4341/ يوم 2017/9/7.

13- تاريخ ابن يونس المصري، لعبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، أبي سعيد (المتوفى: 347هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1421 هـ.

14- تاريخ خليفة بن خياط، أبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: 240هـ)،المحقق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت، الطبعة: الثانية، 1397.

15- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لثقة الدين، أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)،الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1404ه.

16- تخريج أحاديث المدونة النبوية الواردة في مدونة الإمام مالك بن انس ، للدكتور الطاهر محمد الدرديري ،نشر مركز البحث العلمي و إحياء التراث الإسلامي الطبعة 1و1406هـ.

17- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)

18- تفسير الراغب الأصفهاني المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)

19- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)،محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م.

20- جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبي جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

21- دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه، لعبد الرحمن بن أبي الحسن الشهير بابن الجوزي، حققه الشيخ محمد زاهد الكوثري، راجعه الدكتور أحمد حجازي السّقا، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية، سنة :1412هـ-1991م.

22- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبي زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: 808هـ)،المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1408 هـ - 1988 م.

23- رياض النّفوس في طبقات علماء القيروان و أفريقيا و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي، حققه بشير البكوش و راجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط

2:1414هـ-1994م.

24- سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبي القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: 535هـ)،تحقيق: د. كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

25- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة، ه. 1391ه.

26- صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي و شمال أفريقيا' للدكتور علي محمد الصلابي ، دار البيارق عمان الأردن، ط 1 :1418هـ-1998م.

27- طبقات علماء إفريقية، وكتاب طبقات علماء تونس، المؤلف: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب (المتوفى: 333هـ)،الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت – لبنان.

28- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

29- متن الرسالة لأبي محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: 386هـ) الناشر: دار الفكر.

30- مدرسة الحديث بالقيروان من افتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهدري، الحسين بن محمد شواط ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي الرياض المملكة العربية السعودية، ،1:1411هـ.

31- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لأبي زيد عدب الرحمن بن محمد الأنصاري ابن الدباغ (ت 696ه)، و أكمله و علق عليه أبو القاسم بن عيسى التونخي (ت 839ه)، تصحيح و تعاليق إبراهيم شبوخ، مكتبة الخانجي بمصر، ط2 :1388ه-1968م.

32- معجم البلدان، لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)،الناشر: دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م.

33- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)،الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة1421ه.

34- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: 324هـ)،المحقق: نعيم زرزور، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.

35-الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني>مكتبة الخانجي – مصر>سنة النشر : 1950 م .

36-المدن و الآثار الإسلاميّة أحمد الخالدي:56. https://books.google.dz/books ، يوم 2017./09/06

37-المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)

38-ترتيب المدارك، الكتاب: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ)

جزء 1: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م. حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة. الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ.

38-طبقات النّحويين واللغويين، لأبي بكر محمد بن الحسن الزُّبيدي، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة مصر،ط2.

39-في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة

المحقق: جزء 1: ابن تاويت الطنجي، 1965 م، جزء 2، 3، 4: عبد القادر الصحراوي، 1966 - 1970 م جزء 5: محمد بن شريفة، جزء 6، 7، 8: سعيد أحمد أعراب، الناشر: مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى: 1981-1983م.

40-معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (المتوفى: 395هـ)،المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م.